تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

مقاومة الفكرة بالفكرة فى المبادئ الهدامة :

من رأى معالى مصطفى مرعى بك وزير الدولة أن مقاومة الفكرة بالفكرة هى أنجع الوسائل فى سبيل القضاء على المبادىء الهدامة ... ذلك لأن التربة الصالحة لنمو الأفكار المنحرفة هى رءوس الطبقة المتعلمة قبل الطبقة الجاهلة ؛ فإذا حاربنا تلك الرءوس بنفس السلاح الذى نلجأ إليه ، كان ذلك أجدى على طلاب الحقيقة سواء أكانوا من الداعين إلى الانحراف والساعين إلى الخراب ، أم كانوا من هواة التصديق الذى يعقبه التصفيق لكل رأى جديد يغرقهم فى تيه من المظاهر الخداعة !

الحجة بالحجة والفكرة بالفكرة والدليل بالدليل ، وتلك هى الأضواء الثلاثة التى يجب أن تسلط على الأوكار الفكرية التى يعيش أصحابها فى الظلام ... رأى يحمل كثيراً من الصواب ما فى ذلك شك ؛ لأننا لو جندنا بعض الأقلام لمثل تلك الغاية لأتينا بخير النتائج واظفرنا بالكثير ، ولأزهقنا باطل الدعاة حين يذبحون على اللأ أننا قد لجأنا إلى منطق الإرهاب فى محاسبتهم حين عجزنا عن منطق الإقناع ... وتلك نقمة خبيثة يرددها اليوم أعداء النظام كما كانت يرددها بالأمس أعداء الإسلام ، حين نادوا بأن الدين الجديد قد فرض على خصومه بقوة السيف لا بقوة الدليل والبرهان !!

نحن مع وزير الدولة فى هذا الرأى الصائب الذى يدعو إليه .. وإنه لمن أيسر الأمور أن ندلل على فساد بعض المبادىء وفساد العقول التى تؤمن بها من غير روية ولا تفكير ، وتتخذها فى بعض الأحيان تجارة لتصل من ورائها إلى كثير من الأغراض! ولكن لا بد لذلك من حملة تجند لها القوى الفكرية ولا بد للحملة من هيئة تشرف عليها فى شتى السبل والميادين ، ولا بأس من أن تخصص وزارة من وزارات الدولة لهذا الهدف وحده دون سواه ... هناك كتب تكشف عن مساوىء الشيوعية وتزيح عن وجهها الدميم كل نقاب ، فلم لا يعهد إلى بعض الأقلام بترجمة هذه الكتب لتوزع على طبقات الشعب بالمجان ؟ تلك هى إحدى الوسائل المثلى ليطلع الناس على تصوير الأفكار المنحرفة تصويراً صادقاً ، يكون بالنسبة إليهم أشبه بالأعمال الواقية من جراثيم المبادىء الهدامة ! ...

قد يعترض معترض بأن هناك لوناً من الاستحالة المادية فى طبع الملايين من الكتب لتوزع على الملايين من الأفراد ، فضلا عن التكاليف الباهظة التى ترهق الميزانية وفضلا عن الوقت الطويل الذى ينفق فى سبيل الترجمة والمراجعة والنشر ... إذا تحقق شىء من هذا فلا بأس من التلخيص والتركيز لنقدم إلى الشعب فصلاً صغيرة تقوم مقام النشرات ، وعندئذ ينتفى الاعتراض إذا ما تفادينا إضاعة الوقت والجهد والمال !

وهناك فضلا عن ذلك ميادين الصحافة اليومية والأسبوعية ومحطة الإذاعة اللاسلكية ؛ ففى تلك الميادين تستطيع وزارة الدولة أن تكرس الجهود عن طريق المقالات والمحاضرات ، لتغلق كل نافذة يمكن أن تهب منها الرياح التى تزكم الأنوف المريضة ، وتهز العقول الفارغة ، وتعصف بنفوس السذج ممن يصدقون كل ما يقال !

وقد يعترض معترض آخر بأن هناك مشكلة ستظل رغم تلك الحلول وهى مشكلة المشكلات ؛ وخلاصة المشكلة الكبرى هى أن هناك أناساً سيبقون على إيمانهم بالأفكار المنحرفة مهما جاهدنا فى مكافحة الفكرة بالفكرة ومحاربة الدليل بالدليل ، ذلك لأنهم تجار مبادىء وأصحاب أهواء وأغراض ... وتلك فئة قد عاهدت الشيطان على أن تسد منافذ السمع دون صوت الحق ومنطق الضمير ، فلا وسائل الإقناع بمجدية ، ولا بنافعة طرائق التوجيه والإرشاد ! ...

إذا واجهتنا تلك المشكلة الخطيرة فلدينا العلاج الحقيق للقضية كلها ، أو قل إنه السلاح الرئيسى الذى يرد أسلحة الدعاة وهى مفلولة لا تقطع ولا تدفع ... إنهم ينفثون سمومهم فى كل بقعة يلوح لهم منها شبح الفقر وتبدو معالم الحرمان ، وفى كل مجموعة

من الأحياء تجأر بالشكوى منادية برفع غبن أو مطالبة برد حق مهضوم . وإذن فلنعمل جاهدين على تحقيق العدالة الاجتماعية التي لا تفرق بين فرد وفرد ولا بين فريق وفريق ... علينا أن نهيئ العلم للجاهل ، والعمل للعاطل ، والدواء للمريض ، والحياة الكريمة التي توفر الاستقرار للموظف والعامل والفلاح ، وعندئذ تذهب دعوة السوء صرخة فارغة في واد عميق وتكسد البضاعة الرائثة حين تغلق في وجه تجار البادىء المنحرفة كل سوق من الأسواق !

ملاحظات مع توفيق الحكيم في « شهر زاد » :

ورد الحوار التالي في مسرحية « شهر زاد » للأستاذ توفيق الحكيم — المنظر السابع ص (١٧٢) :

شهر زاد — لا أظن أنها تقارعك أو تكافئ لك . ما أنت إلا شعرة في رأس الطبيعة .

شهر يار — كلا (ابيضت) نزعتها .

شهر زاد — إنها تكره الهرم .

شهر يار — نعم .

شهر زاد — تنزعها كي تعود من جديد .

شهر يار — (فتية قوية) !

والشعرة البيضاء إذا انتزعت لا تخرج محلها إلا شعرة بيضاء لا قوة فيها ولا قوة ، ضعيفة كأصلها واهية كأصلها — فهل ترى أن الأستاذ الحكيم قد وفق في تكوين هذه الصورة البيانية أم أنه قد أعجم عليّ الفهم ؟ نرجو أن تبينوا لنا هذا في تعقيباتكم ودمتم ذخراً للأدب .

اسماعيل محمد الساعراتي
بغداد — العراق

هذه اللمسة من الأديب العراق الفاضل لمسة جد موفقة . وإنه ليستحق عليها خالص الإعجاب — ذلك لأن الواقع الحي يؤيده كل التأييد فيما ذهب إليه ! إن الصورة الفكرية هنا تبدو مهزوزة ، أندري لماذا ؟ لأن توفيق الحكيم يعمد أحياناً إلى الفلسفة اللفظية ؛ الفلسفة التي تعتمد على ظاهر اللفظ دون أن تنبع من أغوار النفس ، وهذا هو المأخذ الذي نستطيع أن نعثر عليه في كثير من قصص الأستاذ الحكيم ومسرحياته !

صراع الأفكار لا صراع النفوس ، هو السمة الغالبة على فن توفيق الحكيم ، ومن هنا تهتز الصورة الفنية أحياناً وتهتز معها الصورة الفكرية — إن صراع النفوس حين ينقل عن واقع الشعور ينتج معه كل تناقض لمنطق الحياة ، وعلى العكس من ذلك تجد صراع الأفكار ؛ لأنه صراع جدلي في أغلب حالاته يهمه مقارعة الحجة بالحجة ، لتنتصر في معركة الألفاظ فكرة معينة نبتت في رأس الفنان فوضعها على لسان شخص من الشخوص ، ولا بد لها أن تنتصر على سنان قلمه ؛ لأنه يريد لها أن تنتصر ، ولو كان ذلك على حساب الحقيقة النفسية التي تعبر عن الواقع فتصدق في التعبير !

إنك لو رجعت مثلاً إلى « أوديب الملك » لوجدت أن إغراق توفيق الحكيم في الفلسفة اللفظية قد أفسد الجانب الواقعي من المسرحية في فصلها الأخير ؛ ذلك الفصل الذي كان يجب أن يعالج علاجاً نفسياً ليستقيم مع منطق الحياة والأحياء — ولكن منطق الفلسفة اللفظية قد ارتضى لأوديب أن ينظر إلى نهاية الكارثة نظرة لا تتفق وطبيعة البشر ولا تتفق وجلال المأساة ؛ لأنها نظرة قوامها الرضا عن الحاضر بما فيه من قسوة ومرارة ، ونسيان الماضي بما فيه من شرور وآثام ، وهذا هو الطريق إلى السعادة : سعادة المستقبل الذي يكفر بهناءته عن حاضره وماضيه — ولا بأس من أن يقضي أوديب ما بقي من حياته إلى جانب جوكاست ، على الرغم من أنه قد اكتشف أن تلك التي يريد أن يعيش معها من جديد هي أمه ، أمه التي عاشرها معاشرة الأزواج وأنجب منها عدداً من الإخوة يقال عنهم إنهم أبناء ؟ !

إن هناك فارقاً كبيراً في القيم الفنية بين الصراع الفكري والصراع النفسي ، وحسبك أن ترجع إلى مسرحية فرنسية عرضت لها بالنقد والتحليل في عدد مضى من « الرسالة » ، وأعني بها مسرحية « بنت بين أبوين » — تلك التي نقلها الأستاذ أحمد الصاوي محمد إلى العربية في كتابه الجديد : « بنات » ، حسبك أن ترجع إليها لترى كيف تعبر الألفاظ عن دخائل النفوس ، وكيف تستحيل الكلمات إلى ظلال نفسية موحية ، وكيف يصب الحوار في قالب من اللمحات الشعورية المشرقة ، وكيف تضيء الصورة الفكرية تحت إشعاع الحياة !

لحظات أخرى مع طه حسين في « هامش السيرة » :

ينقل لنا الدكتور طه حسين في كتابه « على هامش السيرة » الجزء الثالث ، حديثاً يدور بين ورقة بن نوفل وصديقه نسطاس حول رواية سمعها ورقة من السيدة خديجة بنت خويلد عن الرسول الكريم فراح يقصها عليه ، وعند ما فرغ الدكتور من سرد هذا الحديث عقب عليه بهذه العبارات في ص (٥١) : « ثم سكت ورقة فلم يقل شيئاً ، وكف نسطاس فلم يكتب شيئاً ... وظل الرجلان في هذا الصمت والسكون ساعة ، كأنما كانت نفساهما قد فارقتاهما وجعلتا تسموان إلى أفق بعيد ليس من هذا العالم الذي يحيط بهما شيء . ولو قد رآهما راء على هذه الحال لخيل إليه أن قد اشتمل عليهما النوم ، وآية ذلك أن الحس عاد إليهما فإذا تذعرا من هذا الصمت كأنما هبا من نوم عميق . ونظر كل منهما إلى صاحبه نظرة طويلة صامتة ، ثم مد كل منهما يده إلى صاحبه فصافحه مصافحة طويلة ... الخ »

ثم يعود الدكتور في الفصل نفسه فيقول في ص (٥٣) : « وكان ورقة يقص هذا الحديث هادئاً مشرق الوجه باسم الثغر وكانت يد نسطاس تجري على قرطاسه بتفسير ما يسمع في لغة يونان » !

كيف تتفق هذه الفقرة الأخيرة ياسيدي مع الفقرات السابقة ألا ترى أن هناك شيئاً من التناقض بين القولين ، التناقض الذي يتمثل في أن نسطاس قد كف عن الكتابة هناك بعد أن سكت ورقة ، وفي أنه قد عاد هنا لتجري يده على قرطاسه بتفسير مايسمع؟ أرجو أن أسمع رأيك ، وما جئت إليك أسألك إلا لأن رأيك هو الصواب ، ودمتم عوناً لطلاب المعرفة .

عمر عيسى الساسرائي

العراق — معهد التربية البدنية

عند ما اطلعت على رسالة الأديب الفاضل قلت لنفسي : تناقض لا شك فيه ... وعند ما رجعت إلى كتاب الدكتور طه حسين وجدت الأمر على غير ما صوره لي الأديب الفاضل في رسالته ، لأنني وقفت عند صفحة بين الصفحتين اللتين نقل منهما صاحب السؤال تلك الفقرات التي بدا له أن فيها رأيين متناقضين وقفت عند هذه الصفحة لأخرج من سطورها بحقيقة ملموسة ، وهي أن الأديب العراقي الفاضل قد مر بها معجلا فيما يظهر ، فلم يتنبه لتلك القصة الأخرى التي قصها ورقة على نسطاس بعد فراغه من القصة الأولى ... الواقع أنه لا تناقض هناك على الإطلاق ففي ص (٥١) كان ورقة ينقل إلى نسطاس أول قصة سمعها من السيدة خديجة عن الرسول الكريم ، وعند ما انتهى ورقة من قصته تلك « سكت فلم يقل شيئاً وكف نسطاس فلم يكتب شيئاً وظل الرجلان في هذا الصمت والسكون ساعة ... وعند ما ذعرا من هذا الصمت وكأنما هبا من نوم عميق» بدأ ورقة في ص (٥٢) يقص على نسطاس قصة أخرى عن الرسول الكريم ، وعند ما انتهى ورقة من قصته الثانية كان في ص (٥٣) « هادئاً مشرق الوجه باسم الثغر ، وكانت يد نسطاس تجري على قرطاسه بتفسير ما يسمع في لغة يونان ... » ومن هنا يرى الأديب الفاضل أنه قد ظلم الدكتور طه حسين بلا ذنب ولا جريرة ؟

نهضة أدبية موفقة في عدن :

من دواعي الغبطة أن هناك نهضة أدبية مباركة في عدن ، يشرف عليها ويرعاها نخبة من الشباب المخلصين لرسالتهم في الحياة ومن دواعي الغبطة أيضاً أن أطلع على دعائم هذه النهضة فيما يرسل إلي من إنتاجهم ، ممثلا في مجلة شهرية هي مجلة « المستقبل » ، وفي بضعة آثار فنية أهمها الشعر ... الله يشهد أنني سعيد بهذه النهضة ؛ لأنها وثبة رائعة من وثبات الشباب العربي في جنوب الجزيرة ، ومتفائل بها كل التفاؤل ؛ لأنني أومن كل الإيمان بأن النهضات الأدبية ما هي إلا مقدمات طبيعية لنهضات أخرى ، ولو قلبت صفحات التاريخ في كل أمة من الأمم لرأيت أن كل وثبة في ميدان السياسة والعلم والاجتماع قد مهد لها الطريق على أكتاف رجال الأدب والفن ؛ لأنهم كانوا وما يزالون حملة الشاعل في الصفوف الأولى من ركب الإنسانية في سيرها الطويل

أنا مقدر للشبيبة العدنية تلك الجهود الموفقة راجياً لها من الأعماق كل مزيد من التوفيق .

أنور العطاري